

محاضرات في تاريخ الاندلس عصر الفتح (٩٢-٩٥ هـ / ٧١١-٧١٤ م) خطة ومراحل فتح الاندلس

الاندلس قبل الفتح

حكم هذه البلاد التي كانت تسمى بشبه جزيرة ايبيرية والتي تشمل اليوم (اسبانيا والبرتغال) سكن هذه البلاد اقوام عدة منهم الفينيقيون ثم جاء الرومانيون والقرطاجيون والاعراب فاطلقوا عليها اسم اسبانيا ثم غزاها الوندال وهم قبائل متبربره ثم لبقوط الغربيين في القرن السادس الميلادي ، واخيرا فتحها العرب المسلمين سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م ، وكان حال اسبانيا في ظل الحكم القوطي قبل الفتح الاسلامي لا يختلف عن حال بقية اوربا عموما حيث الجهل والفوضى والتاخر.

ويعد نظام تولي العرش سببا هاما في هذا الضعف وذلك لان الحكم لم يكن وراثيا وانما انتخابيا اذ يقوم المجلس الاعلى المؤلف من النبلاء وكبار رجال الدين بانتخاب الملك وكان من يتولى العرش في الغالب هو اقوى النبلاء وكثيرا ما كانت تصاحب عملية الانتخابات الدسائس والمكائد والمؤامرات الامر الذي كان يثير المشاكل والفتن بسبب التنافس بين الاحزاب المتصارعة على العرش .

وفي سنة ٧٠٠ م تولى العرش الملك ويتزا والذي تسميه المصادر العربية (غطيشا) بعد وفاة ابيه اخيكا وكان ذلك سبب في سخط النبلاء ولان ذلك يعد خروجا عن تقاليد الحكم ونظمه القائمة على انتخاب الملك وزاد من هذا السخط ان غيطشا عين ابنه اخيلا الذي تسميه المصادر العربية (وقلة) وليا للعهد ونتيجة لهذه الاعمال ورغم بعض الاصلاحات ازداد سخط النبلاء على هذا الملك واضطربت الاحوال في اسبانيا الامر الذي جعل هولاء يحاولون التخلص منه لذلك حاولوا خلعه من العرش على اثر ثورة قام بها عدد من انصار رودريكو الذي تسميه المصادر العربية (لوزريق) كما يغلب الظن ان المجلس الاعلى في طليطله قد اتخذ قرارا بخلعه عندما قرر تعيين ابنه وقلة وليا للعهد فحدث انقسام في صفوف الشعب وقامت عدة ثورات في انحاء البلاد وتوفي غطيشه تاركا شبه جزيرة ايبيرية على فوهه بركان وقد اختار الحزب المعارض لابناء غطيشه ملكا جديدا وهو رودريكو (لوزريق) حاكما ودوقا لاقليم بادقه بقرطبة مبعدين بذلك وقلة ولي العهد عن العرش .

اما لوزريق الملك الجديد فقد اخذ يلاحق انصار بيت غطيشه مما جعل بعضهم يلوذ بالفرار الى شمال اسبانيا والبعض الاخر الى سبته بالمغرب الاسلامي واللجوء الى حاكمها يوليان ويقال ان بعض هولاء ذهبوا الى والي المغرب موسى بن نصير في القيروان واخذوا يحرضونه على التدخل في اسبانيا في حين اخذ نظرائهم الذين وقاموا في سبته يحرضون الكونت يوليان على الاتصال بالعرب للغرض ذاته لاعتقادهم ان العرب المسلمين اذا دخلوا الى تلك البلاد كان هدفهم الغنائم لذلك يخلصونهم من لوزريق ويملنون ايديهم من الغنائم ويعودون من حيث اتوا وفي تلك الحقبة ساءت العلاقات بين يوليان حاكم سبته وملك اسبانيا لوزريق لصلة النسب والمصاهرة التي ربطت يوليان ببيت غطيشه والاساءة التي الحقها لوزريق بابنة يوليان .

اضافة الى العامل السياسي نذكر العامل الاجتماعي الذي كان عاملا من عوامل الضعف والتدهور والفوضى في اسبانيا اذ تمثل بالتميز الطبقي بين فئات المجتمع القوطي ومكوناته فقد كان يتكون من طبقتين رئيسيتين الطبقة العليا تتألف من النبلاء وكبار رجال الدين فكانت هذه الطبقة تتمتع بامتيازات عديدة حيث كانت تمتلك الاراضي الشاسعة وتعيش منعزلة عن بقية المجتمع ، اما الطبقة الثانية هي الطبقة الدنيا المكونة من صغار الملاك والفلاحين واقنان الارض وهي تشكل غالبية المجتمع وكانت تقع على عاتقها التزامات عديدة منها الضرائب الكبيرة وكانت هذه الطبقة تعاني من الاضطهاد والظلم والتميز الاجتماعي في مختلف العهود.

اما من الناحية الدينية في اسبانيا قبل الفتح العربي الاسلامي كانت الديانات متنوعة مثل اليهودية والمسيحية والوثنية وقد انتشرت الديانة المسيحية في بادى الامر على المذهب الاريوسي الذي كان يؤمن بطبيعة السيد

المسيح البشرية ثم تحولوا الى مذهب الكاثوليك في سنة ٥٨٧ م مما ادى الى ارتباط البلاط الملكي بالكنيسة فزاد الظلم والاجتهاد الاجتماعي واصبحت اللغة اللاتينية هي الرسمية في اسبانيا واتخذو طليطله عاصمة للمملكة القوطية ونتيجة لما ذكر كان هنالك فشل سياسي وتفكك اجتماعي وظلم طبقي وتدهور اقتصادي مما جعل المجتمع الاسباني يتطلع الى التحرر وينظر الى فجرا جديد.

لمحة جغرافية

شبه جزيرة ايبيرية اقليم واسع تصل مساحته الى ٦٠٠ الف كيلو متر مربع والتي تشمل اليوم اسبانيا والبرتغال ، واسبانيا وحدها تشكل خمسة اسداس شبه الجزيرة وتعد ثالث بلاد في اوربا في المساحة بعد روسيا وفرنسا وان مساحتها ٥١٦ الف كيلو متر مربع .

تقع شبه جزيرة ايبيرية في الجنوب الغربي من اوربا وتحدها البحار من جميع الجهات عدا الجزء الشمالي فيحدها الجزء البحر الشمالي (البحر المتوسط) من الشرق والجنوب ومن الغرب يحدها بحر الظلمات (المحيط الاطلسي) ومن الشمال خليج باسكايما وهو الرابط الحدودي من السلاسل الجبلية البرتات (البرانس) التي تفصل اسبانيا عن بلاد الغالب الفرنسي .

وشبه الجزيرة الايبيرية عبارة عن هضبة متوسطة ارتفاعها ٦٠٠ متر عن سطح البحر وهي اعلى بلاد اوربا وفيها الكثير ومن السلاسل الجبلية التي يصل ارتفاعها الى اكثر من ١٦٠٠ متر وتشقها سلاسل الجبال التي تجري مستعرضه بين كل سلسلة من الجبال والتي تليها يوجد وادي يجري فيه نهر مستعرض ولا نجد الانهار الكبيرة التي تحمل الماء الوفير الا في النصف الشمالي من شبه الجزيرة وتلك الانهار تجري من الشمال الى الجنوب من ناحية الغرب .

وان شبه الجزيرة في مجموعة اقاليم جافة بصفة عامة فلا تكثر الامطار الا في النصف الشمالي اي الى الشمال من وادي تاجه وهو الاغنى حيث الانهار الغنية والمزارع الواسعة فضلا عن وجود مناجم الحديد والفحم والمعادن الاخرى .

لقاد اطلق العرب اسم الاندلس في البداية على شبه جزيرة ايبيريا في البداية ثم اخذت هذه الرقعة تتقلص شيئا فشيئا تبعا للوضع السياسي التي كانت عليه الدولة العربية الاسلامية في شبه الجزيرة حتى صار مدلول لفظة الاندلس مختصرا على مملكة غرناطة وهي اخر الممالك الاسلامية في اسبانيا والتي تقع في الركن الجنوب الشرقي من شبه جزيرة ايبيريا .